المبحث الثاني

الحبك

تعريف الحبك (Coherence)

الحبك لغة :

جاء في العين « محبوك العجز والمتن إذا كان فيه استواء مع ارتفاع والحباك رباط الحظيرة بقصبات ، ثم تشد كما تحبك عروش الكرم بالحبال واحتبكت إزاري شددته »[1] .

و« حَبَكَ الثوبَ يَحْبِكُهُ بالكسر حَبْكًا إذا أجاد نسجه ، قال ابن الأعرابي : كلُّ شيءٍ أَحْكَمْتَهُ وأَحْسَنْتَ عَمَلَهُ فقد أَحْتَبَكْتَهُ »[2] ولذا يقال : « حَبَكْتُ الحبلَ : شددته وبناء محبوك موثوق وحبكت العقدة وثقتها »[3] .

ظاهر معاني (حبك) في اللغة هو الشد والتوثيق وإحكام الشيء وتحسينه[4] ، وهذه معاني يجمعها عنصر القوة .

فمحبوك العجز والمتن دلالتها على القوة ورباط الحظيرة عمله تقويتها بالقصبات المشدودة ، وشد الشيء ، يكون بقوة لغرض التقوية فالحبل يشد وكذا الثوب . ومنه إجادة نسج الثوب وجعله قويا بعد أن كان خيوطا ضعيفة ، وهو حكم على كل شيء أحسنته وأحكمته فيكون محبوكًا .

---

(١) العين : (حبك) ٢٨١/١ .
(٢) الصحاح : (حبك) ١٥٧٨/٤ .
(٣) أساس البلاغة : (حبك) ١٦٥/١ .
(٤) يُنظَر : الكليات : ٥٧ .

ترجمة مصطلح الحبك (Coherence)

إن مصطلح (Coherence) الحبك لم يسلم أيضًا من اختلاف المترجمين في وضع المقابل العربي له ؛ وهذه الاختلافات هي :

١- الحبك : عند الدكتور (سعد مصلوح) : هو اختيار الدكتور (محمد العبد)[١] ، وهو إحدى الترجمات عند الدكتور (أحمد عفيفي) والدكتور (صبحي إبراهيم الفقي)[٢] .

٢- الالتحام : في ترجمة الدكتور (تمام حسان) لكتاب (دي بوجراند) (النص والخطاب والإجراء)[٣] .

٣- التماسك : عند (محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي) في ترجمتهما لكتاب (تحليل الخطاب) (لبراون وج . يول).[٤] وأحد ترجمات الدكتور (أحمد عفيفي)[٥] ومن الدارسين من يضيف إليه الدلالة فيصير (التماسك الدلالي)[٦] أو التماسك المعنوي[٧] .

وقد سبقت الإشارة إلى استعمال التماسك لترجمة السبك (cohesion) عند بعض الدارسين .

٤- الانسجام : هو أحد وجوه الترجمة عند الدكتور (أحمد عفيفي) والدكتور (إبراهيم محمود خليل). وكذلك هو عند (محمد خطابي)[٨] .

---

(١) نحو أجرومية النص الشعري : ١٥٤ : النص والخطاب والإجراء : ٨٧ ، ٨٩ وحبك النص في التراث العربي : ١٣٩ .

(٢) يُنظَر : نحو النص : ٧٥ ، ٩٠ ، علم اللغة النصي : ٣٣/١ .

(٣) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ٨ ، ١٠٣ .

(٤) يُنظَر : تحليل الخطاب : ٣٤٠ .

(٥) نحو النص : ٩٠ ، ومثله عند الدكتور إبراهيم محمود ، يُنظَر : في اللسانيات ونحو النص : ٢١٨ .

(٦) علم اللغة النصي : ٣٣/١ .

(٧) علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٨٤ .

(٨) يُنظَر : نحو النص : ٩٠، في اللسانيات ونحو النص : ٢١٨، لسانيات النص : ٤٠٩.

٥- الاتساق : هو أحد مقابلات الترجمة عند الدكتور (أحمد عفيفي) والدكتور (إبراهيم محمود خليل)[١]. وسبقت الملاحظة أن من الدارسين من يستعمل (الاتساق) مقابل (cohesion) السبك .

٦- التقارن : عند الدكتورة (إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد) [٢] .

٧- التناسق : اعتمد هذه التسمية الدكتور (فالح العجمي) (coherence) عند ترجمة كتاب (فولفجانج هاينه) من (وديتر فيهفيجر) الموسوم (مدخل إلى علم اللغة النصي)[٣] .

وأطلق عليه كل من الدكتور (محمد لطفي الزليطي والدكتور منير التريكي) (التناسق المعنوي)[٤] .

هذه أبرز الترجمات لهذا المصطلح عند المهتمين بعلم النص ، وقد أظهرت عدم استقرار للمصطلح المترجم مما يزيد من صعوبة تلقي النظرية النصية التي ما زالت توسم بأنها نظرية جديدة .

الحبك في الاصطلاح

يعرفه (دي بوجراند) بقوله : « يتطلب في الإجراءات ما تتنشط به عناصر المعرفة ، لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه »[٥].

وهو عند الدكتور (تمام حسان) معيار للترابط المفهومي ، وترجمته عنده (الالتحام)[٦].

---

(١) نحو النص : ٦٠ ، في اللسانيات ونحو النص : ٢١٨ .
(٢) مدخل إلى علم النص : ١١ ، ٢٩٠ ، وفي اللسانيات ونحو النص : ٢١٨ .
(٣) يُنظَر : مدخل إلى علم اللغة النصي : ٩٣ .
(٤) يُنظَر : تحليل الخطاب : ٣٤٠ .
(٥) النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .
(٦) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ٨ .

ويحده (ليفاند وفسكي) (lewlandawski) بقوله : «ليس الحبك محض خاصة من خواص النص ، ولكنه أيضًا حصيلة اعتبارات معرفية (بنائية) عند المستمعين أو القراء»[١].

ويقول (فولفجانج وديتر) بأنَّه : «استمرارية المضمون بمعنى (ترابط العلامات الدلالية) فهي ليست مجرد سمة للنصوص ، بل أكثر من ذلك ، قضايا في نتائج الإدراك لدى مستخدم النص فالتناسق لا ينشأ لذلك إلا بواسطة ربط العلم المهيأ في النص (عالم النص) مع (عالم العلم) المخزون لدى شريك الاتصال»[٢].

ويعرفه (هاليداي ورقية حسن) بأنَّه «مفهوم دلالي ، يحيل إلى العلاقات المعنوية الفاتحة داخل النص والتي تحدده كنص».[٣]

ويقرب الدكتور (سعد مصلوح) في تعريفه للحبك من تعريف (فولفجانج وديتر) فيقوله « إن معيار الحبك يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص ، وتعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلي في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم ، وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجا وإبداعا أو تلقيا واستيعابا» : [٤].

وقد عرفه الدكتور (محمد العبد) ؛ ليكون جوهره عنده « تنظيم مضمون النص تنظيمًا دلاليًا منطقيًا ، تسلسل لمعاني والمفاهيم والقضايا على نحو منطقي مترابط هو أسّ حبك النص»[٥].

---

(١) نقلا عن : حبك النص : ١٢٩ ، النص والخطاب والاتصال : ٩١ .

(٢) مدخل إلى علم اللغة النصي : ٩٣ .

(٣) (Cohesion in English : p . p 4) ، نقلا عن : لسانيات النص : ١٥ .

(٤) نحو أجرومية للنص الشعري : ١٥٤ .

(٥) حبك النص : ١٣٠ ، والنص والخطاب والاتصال : ٩٢ .

وتعرفه الدكتورة (عزة شبل) بقولها «هو الكيفية التي تمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج من تنظيم النص ، ومعها يصبح النص وحدة اتصالية متجانسة»[1].

كل ما تقدم من تعاريف بمصطلح الحبك تتفق على مضمون واحد وتسعى لإظهار ثلاثة أمور : هي .

١- أهمية عالم النص (عناصر المعرفة) .

٢- دورعالم النص في استمرارية المضمون (ترابط العلاقات الدلالية) .

٣- المتلقي (مستمع أو قارىء) ، ودوره الإدراكي .

وسائل الحبك عند (دي بوجراند) :

حدد (دي بوجراند) بعضًا من وسائل الحبك ؛ وهي : [2]

١- العناصر المنطقية ـ السببية والعموم والخصوص .

٢- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف .

٣- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية ؛ ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم .

إن ما ذكره (دي بوجراند) يمكن أن ينظم في ثلاثة محاور[3]؛ هي : الربط الدلالي بين القضايا ، ومعرفة الفكرة الأساسية ، وكيفية تنظيم المعلومات في النص .

المفاهيم النظرية للحبك :

اهتم الدكتور (محمد العبد) بهذه المفاهيم التي تتعلق بالحبك ووسمها بأنَّها «التي تمكن من تحليل بنيته تحليلاً متكاملاً» [4] ، وأهم هذه المفاهيم :

---

(١) علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٨٤ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .

(٣) يُنظَر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٨٧ .

(٤) حبك النص : ١٣١ .

أولاً : مفهوم الحبك الطولي المتدرج :

يكون الحبك الطولي المتدرج على مستوى الجمل : أي : ما تعبر عنه كل جملة ، ثم ما تعبر عنه متواليات الجمل ، ومن هنا كانت تسمية (المتدرج) ، فصدق على هذا تسميته بـ (بنى النص الصغرى) في مقابل البنى الدلالية الكبرى للنص[1] .

ويمكن توضيح هذه البنى ، بما جاء في قول (جحدر العكلي) :[2] [الطويل]

إِذَا انْقَطَعَتْ نَفْسُ الفَتَى وَأَجَنَّهُ ... مِنَ الأَرْضِ رَمْسٌ ذُو تُرَابٍ وَجَنْدَلِ

رَأَى أَنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ وَأَنَّمَا ... ثَوَابُ الفَتَى فِي صَبْرِهِ وَالتَّوَكُّلِ

البنى الصغرى : (القضايا الصغرى) :

١- الموت (انقطعت نفس الفتى) .

٢- الدفن (وأجنه من الأرض رمس) .

٣- اليقين (رأى) .

٤- الزائل (أنما الدنيا غرور) .

٥- الثابت (ثواب الفتى في صبره) .

ثانيًا : مفهوم علاقات الحبك :

هناك علاقات يظهر الحبك من خلالها ، من أهمها ما يأتي :

١- **وحدة المرجع** : وهي علاقة بين الذوات فـ « الموضوعات وحدات في قضايا مختلفة يمكن أن يكون لها الذات نفسها والقيمة ذاتها ، ويمكن أن يشار إلى الذات الواحدة باسم العلم ، أو الضمير أو بمفردات مثل : آخر ، أو تعبيرات مثل : ذلك الولد ، أو الطالب الذي فقد كتابه »[3] .

---

(١) يُنظَر : حبك النص : ١٣١ .

(٢) شعراء أمويون : ١٨١/١ ، وفيه : (وأخبه) ، ديوان اللصوص : ١٦٩/١ . الرَّمْسُ : التُّرابُ ، ورَمْسُ القَبْر : ما حُثِيَ عليه ، العين : (رمس) ١٤٩/٢ .

(٣) حبك النص : ١٣٢ .

الكلام هنا هو عن الإحالة أو الاستبدال الخاص بالذوات ، وليس الإحالة المطلقة ، أو الاستبدال المطلق ، ويمكن التمثيل لهذا بقول مالك بن رفيع [1] [الوافر]

بَغَانِي مُصْعَبٌ وَبَنُو أَبِيهِ ... فَأَيْنَ أَحِيدُ عَنْهُمْ لاَ أَحِيدُ

أُسُودٌ بِالحِجَازِ عَلَى أُسُودٍ ... خَوَادِرَ لا تُنَهْنِهُهَا الأُسُودُ

أَقَادُوا مِن دَمِي وَتَوَعَّدُونِي ... وَكُنْتُ وَمَا يُنَهْنِهُنِي الوَعِيدُ

شَقَيْتُ بِهِم عَلَى طُولِ التَّنَائِي ... كَمَا شَقِيَتْ بِأَحْمَرِهَا ثَمُودُ

عَسَى ابْنُ الكَاهِلِيَّةِ فِي نِدَاهُ ... يَعُودُ بِحِلْمِهِ فِيمَا يَعُودُ

فَيَأْمَنُ خَائِفٌ بِهِمِ طَرِيدٌ ... وَيَأْتِي أَهْلَهُ التَّائِي البَعِيدُ

في هذه القطعة ثلاث ذوات [2] (الشاعر ، مصعب ، بنو أبيه) وقد تضمنت عددا من الإحالات ، جعلت من النص محبوكًا بعود عدد منها إلى ذات بعينها وعدد آخر إلى ذات أخرى .

١- **الشاعر** : ١- بغاني / الياء . ٢- أحيد/ أنا . ٣- لا أحيد/ أنا . ٤- من دمي/ الياء . ٥- توعدوني/ الياء . ٦- كنت/ ت . ٧- ينهنهني/ الياء . ٨- شقيتُ/ ت .

٢- **مصعب** : ١- بنو أبيه/ الهاء . ٢- عنهم/ الهاء . ٣- أقادوا/ الواو . ٤- توعدوني/ الواو .٥- تنهنها/ الهاء . ٦- توعدوني/ الواو . ٧- بهم/ الهاء . ٨- في نداه/ الهاء . ٩- يعود/ هو . ١٠- بحلمه : الهاء . ١١- يعود/ هو .

---

(١) ذيل الأمالي والنوادر : ١٢٧-١٢٨ . ؛ النَّهْنَهَةُ : الكَفُّ . تقول نَهْنَهْتُ فُلانًا إذا زَجَرْتَهُ فَتَنَهْنَهَ أي كَفَفْتَهُ فَكَفَّ ؛ لسان العرب : (نهنه) ١٣/٥٥٠ . الكاهلية : « أم خويلد ابْن أسد بْن عَبْد العزى ، جدة العوام بن خويلد ، زهرة بنت عمرو بن حنثر ، من بَنِي كاهل بن أسد بن خزيمة » . أنساب الأشراف : ٦/٣٥٣-٣٥٤ .

(٢) هناك ذات رابعة هي (ثمود) عاد الضمير عليها مرة واحدة فأخرجتها من المقارنة .

٣- **بنو أبيه** : وهم بالاشتراك مع مصعب في : (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) .

كما أن هناك استبدالا وأدوات أخرى .

فاستبدل : ١- أسود بـ(مصعب وبنو أبيه) ٢- خوادر بـ (مصعب وبنو أبيه)

٣- ابن الكاهلية (مصعب) ٤- خائف (الشاعر) ٥- طريد (الشاعر) ٦-الناتي (الشاعر) ٧- البعيد (الشاعر)

ولا يظهر للباحث فرق بين وحدة مرجع الذوات ووحدة مرجع غير الذوات (الأفكار) : في تحقيق الحبك : منه قول السمهري العكلي [١] : [الطويل]

فإنْ أَنْجُ مِنْها أَنْجُ مِـنْ ذِي عَظِيْمَـةٍ وإنْ تَكُنِ الأخْـرى فَتِلْـكَ سَـبِيْلُ

ففي البيت : اسم إشارة (تلك) أحيل به إلى معنى لا ذات ، وهي (عدم النجاة) التي قابلت النجاة من السجن ، فجعل

عدم النجاة ← معنى ← تلك

وحدة المرجع

وفي البيت أيضًا استبدال بـ(أخرى) عن ذكر عدم النجاة ، وهو استبدال لغير ذات فوحدة المرجع للمستبدل والمستبدل منه معنى لا ذات .

عدم النجاة ← معنى ← أخرى

وحدة المرجع

وعلى كل حال فإن وحدة المرجع ضرورية لمعرفة وجود الحبك بين الجمل ؛ لذا ما كان (لفان دايك) إلا أن ينفي وجود أي ترابط دلالي بين الجمل في المثالين : (لأنَّ الطقس كان جميلا يدور القمر حول الأرض) (كم الساعة؟ فلتعطني إياها) لعدم وجود إحالة بين علاقات الجمل [٢].

---

(١) شعراء أمويون : ١/١٤٥ .

(٢) يُنظَر : علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ٤٨ .

٢- علاقة الاختلاف والتغيير :

يقول الدكتور (محمد العبد) عن فحواها «إننا لا ندوم في الخطاب على ذكر الشيء نفسه عن الذوات أنفسها بل ندخل إلى عالم الخطاب ذواتًا جديدة أو نعين جديدًا من الخصائص والعلاقات لذوات أدخلناها من قبل»[١].

وشرط هذه التغيرات أن تكون متجانسة ولا تخرج عن المستوى المنطقي لقبولها في عالم النص ، كما أن هذه التغيرات ترتبط بما ذكر قبل من نظائرها فعملها يتركز على (المحور والتفسير)[٢].

وفي أبيات من قصيدة لمالك بن الريب يمكن أن تتضح هذه العلاقة إذ يقول[٣] : [الخفيف] .

وَلَقَدْ قُلْتُ لابْنَتِي وَهْيَ تَبْكِي ... بِدَخِيلِ الهُمُومِ قَلْبًا كَئِيبَا

وَهْيَ تُذْرِي مِن الدُّمُوعِ عَلَى الخَدِّ (م) دِيَنٍ مِنْ لَوْعَةِ الفِرَاقِ غُرُوبَا

عَبَرَاتٍ يَكَدْنَ يَجْرَحْنَ مَا جُزْ (م) نَ بِهِ أَوْ يَدَعْنَ فِيهِ نُدُوبَا

حَذَرَ الحَتْفِ أَنْ يُصِيبَ أَبَاهَا ... وَبِلاَقِي فِي غَيْرِ أَهْلٍ شَعُوبَا

اسْكُتِي قَدْ حَزَزْتِ بِالدَّمْعِ قَلْبِي ... طَالَمَا حَزَّ دَمْعُكُنَّ القُلُوبَا

فَعَسَى اللهُ أَنْ يُدافِعَ عَنِّي ... رَيْبَ مَا تَحْذَرِينَ حَتَّى أَؤُوبَا

يلاحظ نقاط الاختلاف والتغيير في هذه الأبيات على نحو ما يأتي :

١- الدموع : ابنتي تبكي ← تذري الدموع غروبا ← عبرات يجرحن ويتركن الندوب ← (اسكتي) اتركي البكاء ← الدمع يحز القلب .

---

(١) حبك النص : ١٣٢ .

(٢) يُنظَر : المصدر نفسه : ١٣٢ .

(٣) شعراء أمويون : ٢٤/١-٢٥ . سبق أن بينت معاني (غوربا) و(شعوبا) في ذكر هذه الأبيات في تناص المواقف والقصص . والحتف : الموت وقضاؤه . العين : (حتف) ٢٨٤/١ . والحز قطع في اللحم غير بائن . العين : (حزز) ٣١١/١ .

٢- الخدود : الدمع على الخدين ← عبرات يجرحن الخد ← عبرات يتركن على الخد الندوب .

٣- الموت : حذر الحتف يصيب أباها ← يلاقى المنية في غير قومه ← ريب ما تحذرين .

٣- علاقة التبعية :

جعل الدكتور (محمد العبد) ضمن هذه العلاقة مجموعة من العلاقات المنطقية التي تجعل من الكلام محبوكًا منطقيًا ذكر منها :

العلة ، والشرط ، والمقارنة ، والتخصيص ، وتدرج الأجزاء ، وعلاقة الجزء بالكل[١] وتشمل هذه العلاقة عند الدكتورة (عزة شبل محمد) سبعة أنماط هي:[٢]

١- السبب ويكون خارج مجال الاختيار (الإرادة) ، وتشكل هذه العلاقة عند (فان دايك) باستخدام أدوات ربط سببية مثل : « لأنَّ ، وإذا ، وهكذا ومن ثَمَّ وعلى ذلك ، إذن »[٣] . وفيها يقول شبيب بن كريب[٤] [الوافر]

إذا بَهشتْ رَبيعَةُ للمَعَالي فعِكْرِمَةُ بنُ رِبْعِي فَتاهَا

فلا اختيار لربيعة عند الشاعر عندما تطلعت للمعالي بأن يكون عكرمة ابن ربعي فارسها ومقدامها .

٢- المبرر : يشير به إلى جانب الاختيار (الإرادة) ، وقد ورد في قول أبي النشاش النهشلي [٥][البسيط] :

---

(١) يُنظَر : حبك النص : ١٣٣ .

(٢) يُنظَر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ١٨٨ .

(٣) علم النص مدخل متداخل الإختصاصات : ٥٥ .

(٤) نسب معد واليمن الكبير : ٤٩/١ . بهشت ربيعة للمعالي حنت إليها ، ورجل بهش هين لين ، العين : (بهش) ١٦٧/١ .

(٥) ديوان اللصوص : ٢٨٩/٢ . نقض : النَّقْضُ : إفساد ما أبرمت من حبل . العين : (نقض) ٢٥٧/٤ . وأَمْرَرْتُ الشيءَ أُمِرُّه إمْرارًا إذا جعلتَه يمُرُّ أي يذهَبُ ، لسان العرب : (مرر) ١٦٥/٥ .

وَمَـــا أُواعِـــدُهُمْ إِلاَّ مُخَادَعَـــةً مِنِّـــي لِيَقْلِبَنِـــي نَقْضِـــي وَإِمْـــرَارِي

فالمخادعة واقعة من الشاعر باختياره ؛ لينجيه بعد ذلك هروبه .

٣- الوسيلة : هي استخدام مقصود لتحقيق السبب ، يقول المَـرَّار الفقعسي[١] : [الطويل]

إِذَا شِئْتَ يَوْمًـا أَنْ تَسُـوْدَ عَشِـيْرَةً فَبِالحِلْمِ سُـدْ لاَ بِالتَّسَـرُّعِ والشَّـتْمِ

فالحلم وسيلة لتحقيق السيادة على العشيرة .

٤- التتابع : هو نوع من التبعية . وقد جاء في قول المَـرَّار الفقعسي[٢] : [البسيط]

فِي لَيْلَةٍ مِـن لَيَـالِي القُـرِّ شَـاتِيَةٍ لاَ يُدْفِئُ الشَّيْخَ مِن صُـرَّادِهَا النَّـيْمُ

التتابع فيه (ليالي القر) (شاتية) (من صرادها) ، فجاء بنتيجة أن الشيخ لا يدفء بمثلها .

٥- الغرض : هو تتابع اختياري ، ومثاله يقول مالك بن الريب[٣] : [البسيط]

وَالسَّيْفُ بَيْنِي وَبَيْنَ الثَّـوْبِ مُشْـعِرُهُ أَخْشَى الحَوَادِثَ إِنِّي لَمْ أَكُـنْ وَكِـلاَ

التتابع الاختياري في البيت هو (السيف بين جلد الشاعر وثوبه) ، وهذا حال مَن (يخشى الحوادث) ليصل بهما إلى غرضه ؛ وهو أنه لم يكن وَكِلاً على أحد .

٦- الشرط : هو سبب ضروري أو ممكن للتابع ممكن . وفيه يقول القتال الكلابي : [٤] [الكامل]

---

(١) شعراء أمويون : ٤٨٢/٢ . الصَّرْدُ والصَّرَدُ : البَرْدُ ، وقيل : شِدَّتُهُ ، لسان العرب : (صرد) ٢٤٨/٣ . والنِّيم : الفرو الرَّقيق ، العين : (نيم) ٢٨٢/٤ .

(٢) شعراء أمويون : ٤٨١/٢ .

(٣) شعراء أمويون : ٣٦/١ . والشِّعارُ : ما وَلِيَ شعر جَسَدِ الإنسان دُونَ ما سِواهُ من الثِّيَابِ ، والجمع أَشْعِرَةٌ وشُعُرٌ . لسان العرب : (شعر) ٤١٢/٤ .

(٤) ديوان القتال الكلابي : ٤٢ .

أَدْنُو إِلَى الْمَعْـرُوْفِ مَـا اسْـتَدْنَيْتَنِي فَـإِذَا أُقَـادُ مُعَاسِـرًا لَـمْ أَنْقَـدِ

في البيت شرطان ممكنان الأول (ما استدنيتني) تابعه (أدنو إلى المعروف) والآخر (إذا أقاد) تابعه (معاسرًا لم أنقد) . وهما ممكنان لا ضروريان ؛ لأنه قد لا يدنو من المعروف حتى لو استدنى إليه ، وقد يُقاد إذا قيد .

٧- المسلمة : هي سبب أو مبرر لأي تتابع متوقع أن يحدث ، يقول جحدر[١]:

[الكامل]

كانَـتْ مَنَازِلُنَـا الَّـتِي كُنَّـا بِهَـا شَـتَّى وَأَلْـفٌ بَيْنَنَـا دَوَّارُ

فالسجن (دَوَّار) مبرر للاجتماع لمن كانت منازلهم متفرقة ، وهو تتابع متوقع الحدوث .

ثالثًا : مفهوم الحلقات المفقودة :

يقصد بالحلقات المفقودة (Missing links) عند (فان دايك) «القضايا التي تسلم بها على أنَّها تنشئ الحبك النظري للنص ، والتي لا يعبر عنها في الخطاب»[٢] .

وهذه الحلقات التي وسمت أنَّها مفقودة يمكن أن يعاد تركيبها إلى الحلقات الموجودة ، وذلك عن طريق أحد ثلاثة إجراءات هي[٣] :

١- قانون الاستدلال : ٢- قانون التداول : ٣- النظرية المعرفية :

يلاحظ أن هذا المفهوم قد تناولته العربية في قضيتي الحذف والتقدير فالحذف يمثل (القضايا التي لا يعبر عنها في الخطاب) والتقدير يمثل بحق الإجراءات الثلاثة المذكورة لاستعادة الحلقات المفقودة ، وأي إجراء آخر من شأنه إعادة تقدير المحذوف .

---

(١) شعراء أمويون : ١/١٧٣ .

(٢) (Text and Context .op cit . p . 9) نقلا عن : حبك النص : ١٣٣ . والنص والخطاب والاتصال : ٩٥ .

(٣) يُنظَر : حبك النص : ١٣٣ . والنص والخطاب والاتصال : ٩٥ .

يقول القزويني (ت ٧٣٩ هـ) في كلامه عن أحوال المسند : «ومما يحتمل الوجهين قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ ﴾ (النساء:١٧١) ، قيل : التقدير ، ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ، ورد بأنَّه تقرير لثبوت آلهة ؛ لأنَّ النفي إنما يكون للمعنى المستفاد من الخبر دون معنى المبتدأ كما تقول : ليس أمراؤنا ثلاثة ، فإنك تنفي به أن تكون عدة الأمراء ثلاثة من دون أن يكون لكم أمراء ، وذلك إشراك مع أن قوله تعالى بعده : ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (النساء:١٧١) ، يناقضه ، والوجه أن ثلاثة صفة مبتدأ محذوف ، أي يكون مبتدأ محذوفا مُميزه لا خبر مبتدأ والتقدير : ولا تقولوا لنا ـ أو في الوجود ـ آلهة ثلاثة أو ثلاثة آلهة ، ثم حذف الخبر ، ثم حذف الموصوف أو المميز ، فيكون النهي عن إثبات الوجود لآلهة ، وهذا ليس فيه تقرير لثبوت إلهين»[1].

هذا وعي سابق لعلماء العربية بإجراءات تركيب الحلقات المفقودة وإن لم يسمُّوا إجراءاتهم بأسماء إجراءاتها لدى المحدثين .

وقد بدأ (القزويني) بالاعتماد على (النظرية المعرفية) ؛ وهي توحيد الله عز وجل ، يرد القول بتقدير (ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة) . يقول «ورد بأنَّه تقرير لثبوت آلهة».

ونص على هذا الرد بالقواعد التداولية للبلاغة من أن النفي يكون للمعنى المستفاد من الخبر دون معنى المبتدأ .

ثم جعل من الاستدلال بالحذف وسيلة لتقوية الوجه الذي ذهب إليه ، ويلاحظ أن أهم هذه الإجراءات لديه كانت (النظرية العامة) وتسخير القواعد البلاغية والاستدلال النحوي في تأييد ما تدل عليه النظرية المعرفية .

وبما أنَّ النحو العربي (نحو الجملة) غالب إجراءاته لإعادة الحلقات المفقودة هي (القاعدة التداولية) ، إذ هي طبيعة الحكم النحوي .

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة : ٩٦-٩٧ .

والمثال على ما يمكن تركيبه من الحلقات المفقودة في شعر الصعاليك قول : جعفر بن علبة الحارثي [1] [الطويل] :

نُقَاسِمُهُمْ أَسْيَافَنَا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفِينَا غَوَاشِيهَا وَفِيهِمْ صُدُورُهَا

يقول (ابن جني) «قال : نقاسمهم أسيافنا فتثبت فينا غواشيها وتثبت فيهم صدورها أي : فتلينا غواشيها وتليهم صدورها ، وقيل : في غواشيها هنا أنَّها قوائمها وهذا تفسير المعنى لا تفسير اللفظ ، وإنما حقيقة الغواشي الجفون ، فكني بالجفون وأومأ بها إلى القوائم ، لإجتماع كل واحد منهما في أنَّه أقرب إلى الضارب بالسيف وأن القطع والأثر ليس له ولا به» [2].

فالحلقات المفقودة في هذا البيت والمستنبطة من كلام (ابن جني) هي :

١- ثبات طرفي السيف (الغواشي في الضارب ، والصدور في المضروب) ، وهذا يجري وفق النظرية المعرفية ، فالمعلوم هو أن الضارب بالسيف ونحوه يتناول قبضته (الغواشي) فلا يكون للمضروب إلا الجانب الحاد من السيف .

٢- (الضارب = راكب أو (راجل) يفهم من (غواشي) ، أما الجفون وهي أغمدة السيوف ، وتكون مع المقاتل الراجل أما بشماله فهي أقرب له من طرف سيفه أو يكون في نطاقه ، وهو بذلك أقرب .

وإنما إن كانت الغواشي كناية عن القوائم أي : قوائم الدابة في الحرب ، فهو إذن راكب غير ماش على رجليه .

وهذه الحلقة تركب أيضًا من خلال (النظرية المعرفية) لأحوال المقاتلين ، وهذا ما بينه (ابن جني) بقوله «لاجتماع كل واحد منهما (الجفن والقوائم) في أنَّه أقرب إلى الضارب بالسيف» .

---

(١) ديوان الحماسة : ١٢ ، وديون اللصوص : ١٨٧/١ ، وفيه : (نُقَاسِمُهُمْ) . غاشِيَةُ السَّيف والرحل غِطاؤه . العين : (غشى) ٢٨١/٣ .

(٢) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة : ٢٧ .

هذه الحلقة استعان (ابن جني) على إظهارها بالاستشهاد بقول المتنبي : [1] [الوافر] .

فَكُنْتَ السَّيْفَ قَائِمُهُ إِلَيْهِم وَفِي الأَعْدَاءِ حَدُّكَ والغِرَارُ

فيقول «ويشهد لصحة هذا المعنى قول شاعرنا ، وينبغي أن يكون من هذا الموضع أخذه وامتثله»[2] .

أعراف الحبك والرابطة الإنجازية

نبه الدكتور (محمد العبد) على ارتباط مفهوم الحلقات المفقودة (عند فان دايك) بمفهومين آخرين عند (ودوسون) هما : أعراف الحبك والرابطة الإنجازية [3] .

أولا : أعراف الحبك :

وخلاصة هذا المفهوم هو : «أننا نربط ما يقال بما نعرف ، وأن قدراً من المقدرة على الاستدلال يؤول إلى تقاليد وأعراف مرتبطة بنوع الخطاب»[4].

فيلاحظ وضوح علاقة مفهوم أعراف الحبك من جهة (النظرية المعرفية) بمفهوم الحلقات المفقودة ، وهو ما جعلها تتضمن مفهوم (أعراف الحبك) .

كما يلاحظ أن هذه الأعراف تتفاوت من جهة قبولها بحسب مجموعة الإنتاج فـ «المكاتبات الإدارية ذات صيغة بعينها ، وأن المعلمين يكتبون تقاريرهم على نحو بعينه وهكذا»[5].

---

(١) ديوان المتنبي : ٣٩٩ . الغِرارُ : حدُّ الرُّمْحِ وَالسَّيْفِ وَالسَّهْمِ . لسان العرب : (غرر) ١٦/٥ .

(٢) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة : ٢٧ .

(٣) حبك النص : ١٣٣ .

(٤) المصدر نفسه : ١٣٣ والنص والخطاب والاتصال : ٩٥ .

(٥) النص والخطاب والاتصال : ٩٥ .

والذي يظهر أنَّه يمكن أن يشمل هذا المفهوم ما ينتج عن الفنون الأدبية (شعرًا ونثرًا) ، ولكل منهما أنماط كتابية محددة بالحقبة الزمنية أو الغرض الأدبي ، فالشاعر مثلا يمكن أن ينسب إلى فترة زمنية معينة لما في شعره من أساليب عرفت بكثرة في تلك الحقبة . ولعل ما ظهر في العصر الحديث من مدارس أدبية وجماعات كـ(جماعة أبولو ، شعراء المهجر) وغيرهما ، فالمبدع يمكن أن ينسب إلى أحدها لخواص فنية يتسم بها إنتاجه الأدبي .

ولعل الإشارة القرآنية (لحن القول) في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ (محمد:٣٠) ، هي ما يمكن أن يُستمد منها (أعراف الحبك) قال الزمخشري : « في لحن القول « في نحوه وأسلوبه »[1] .

وقال أبو حيان : « كانوا يصطلحون فيما بينهم من ألفاظ يخاطبون بها الرسول مما ظاهره حسن ويعنون به القبيح ، وكانوا أيضًا يصدر منهم الكلام يشعر بالاتباع ، وهم بخلاف ذلك عند النصر « إنا كنا معكم » وغير ذلك ، والظاهر الإرادة والمعرفة بالسيماء وجود المعرفة في المستقبل بلحن القول »[2] .

وهذا كلام ظاهر الأهمية في (النظرية المعرفية) ؛ فوجود المعرفة المسبقة بالأفعال والهيئات للمتكلمين أوجبت المعرفة بلحن قولهم ، وأعراف حبكهم للكلام .

ويمكن هنا الاستدلال بأبيات (لتليد الضبي) لإظهار أهمية المعرفة في أعراف حبك النص عنده ، فيقول : [3] [الطويل] .

تَبَدَّلْتُ مِن سَوْقِ الأَبَاعِرِ فِي الضُّحَى وَمِنْ قَنَصِ الغِزْلاَنِ بَنْيَ المَسَاجِدِ

---

(١) الكشاف : ٥/٥٢٨ .

(٢) البحر المحيط : ٨/٨٤ .

(٣) ديوان اللصوص : ١/١٤٢ .

فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَحْدَثْتُ لله تَوْبَةً وَخَيْرِ عِبَادِ اللهِ فِي زِيِّ عَابِدِ
عَلَى أَنَّ فِي نَفْسِي إِلَى البِيْضِ طَرْبَةً وَأَنِّي قَدِ أَهْوَى رُكُوبَ المَوَارِدِ

من غير المعرفة السابقة أن (تليدًا) كان لصًّا يقطع الطريق أيام (عمر ابن عبد العزيز) (رحمه الله) فأخذه وأمره ببناء مسجد لوحده[1] ، كان يمكن حمل معنى القطعة على أنَّه كان رجلا يرعى الإبل ويصيد الغزلان ويعشق النساء ثم تاب ، واستقام أمره فبنى مسجدا لله ، غير أن نفسه قد تحدثه بماضيه ، ويطرب إلى البيض ؛ فيهوى لذلك ركوب المخاطر ، ولاسيما أن (سوق الأباعر) عندما يكون في الضحى ، لا يدل على سرقة وتلصص ؛ وهي العملية التي تجري عادة في الليل ، ثم هو يقرن هذا السوق بقنص الغزلان (الصيد) وهو غير مختص بفئة محددة من المجتمع .

ثانيا : مفهوم الرابطة الإنجازية :

تنتج الرابطة الإنجازية عندما « نضع موقفًا في عقولنا يزودنا برابطة إنجازية بين المنطوقين »[2]. والمنطوقان هما المنطوقان غير المرتبطين ببعضهما ارتباطًا صريحًا[3] ، ولتوضحيه هذه الرابطة جاءوا بمبادلتين .

أ- ماذا فعل رجال الشرطة؟ ب ـ جئت لتوى!

« فينبغي هنا أن يتخيل موقفًا يشهد ـ على سبيل المثال ـ نوع شغب أحاط برجال الشرطة وشد انتباه المارة »[4] .

يقول مالك بن الريب[5] : [الطويل]

أَ تَلْحَقُ بِالرَّيِّ الرِّفَاقُ وَمَالِكٌ بِمَكَّةَ فِي سِجْنٍ يُعَنِّيهِ رَاقِبُهْ

---

(١) يُنظَر : خزانة الأدب : ٣٤٩/١٠ .
(٢) حبك النص : ١٣٤ ، النص والخطاب والاتصال : ٩٦ .
(٣) يُنظَر : المصدر نفسه : ١٣٥ .
(٤) المصدر نفسه : ١٣٤ ، النص والخطاب والاتصال : ٩٦ .
(٥) شعراء أمويون : ٢٤/١ .

المشهد المتخيل أن (مالك ابن الريب) علم بارتحال أصحاب له إلى قومه ، وكنى عن ذلك باسم أبيه (الريب) ، فقال متحسرا على هذا : أتلحق بالريب الرفاق .

كما يلاحظ عدم ارتباط المبادلة الأولى : أتلحق بالريب الرفاق والمبادلة الثانية : ومالك بمكة في سجن يعنيه راقبه ، إلا من جهة الرابطة الإنجازية حيث إنَّهم منطلقون إلى قومهم بسعادة . وعلى هذا يكون الرابط الإنجازي ، جزءًا من الحلقات المفقودة . وهي في قول مالك على النحو الآتي :

١- أما علمت يا مالك أن أصحابك قد رحلوا إلى الديار .

٢- أتلحق بالريب الرفاق ! .

٣- إنهم سعداء في رجوعهم إلى الديار .

٤- مالك في سجن مكة لم يرحل معهم .

٥- مالك سجين يعنيه راقبه .

* * *